

كلمة رئيس مجلس الامناء في جامعة الجنان

الدكتور سالم فتحي يكن

"أرى أن أزمة الواقعي هي في أزمة التنظير . لذلك سأتجاوز الإطار الذي كرسه عنوان المداخلة لأقارب الموضوع من منظاره عله يساعد في تحريك الجمود الحاصل في التنظير .
بعيد إنهيار الإتحاد السوفياتي سارع الغرب ، في محاولة واضحة لملئ الفراغ الفكري ، الى الخروج علينا بنظريات جديدة لتفسير مسار حركة التاريخ لعل أبرزها صراع الحضارات .
كثّر منا تناول هذه النظرية شرحاً ونقداً وتسليماً ، لكن القلائل هم الذين رصدوا خلفياتها .
فعن أي صراع حضارات يتحدثون وهم الحضارة الوحيدة في العالم ، ينتجون الأفكار والسلع والأزمات ونحن نستهلكها جميعاً؟!"

لكن للأسف ، دخل البعض منا هذا الصراع متسلحاً بخططهم ومخططاتهم وأسلحتهم ومساحاتهم ، فعدا الجهاد إنتحاراً والحروب مفتوحة إذ لا نصر ولا منتصر ، واستحالت مدننا وعمراننا وما تبقى لنا من حضارتنا القديمة شاهداً على تخلفنا وهمجية البعض منا من خلال ما نحتته مشهدية الدمار الشامل ،

وأسارع هنا الى تقرير أن ومضة الأمل التي تستحق الرصد والتأمل العميق ، وحققت إنجازات ميدانية، لم يصاحبها التنظير الوافي والمطلوب، هي المقاومة كهامش إقتدار ذاتي وكإحتراب هادف لا عبثي ، هو جزء من أجنحة وطنية ومشروع إقليمي للتحرر والإعتاق من إستعمار خرج من بلادنا لكنه لم يرحل بعد ، وبإمكانيات طوّرت ذاتياً لتستكمل بوضعيتها الثلاثية الأبعاد هذه مشروطية الصراع الحقيقي ،

المقاومة هي القيمة الإنسانية الوحيدة التي أجبرنا العالم على الإعتراف لنا بها في كل الساحات وبمحطتها التاريخية بعيد عدوان 2006 ، وهم يسعون ومنذ ذلك التاريخ الى نفي الطابع القيمي عنها مجندين كل أدواتهم البشرية وسواها .
أيها السادة ،

بإختصار لقد فرض الغرب علينا صراعاً قيمياً فقررنا الدخول بعودة فكرية كانت تشكل ربما إستجابة بناءه للمرحلة التاريخية التي أنتجتنا ، لكنها لم تستوف بالتأكيد قوام المرحلة الراهنة ،

وأبرز شاهد على ذلك البونُ الشاسع بين المنظومة القيمة التاريخية التي لا زالت معتمدة والسلوك الاجتماعي للمجموعات والأفراد المنتمين إليها ،

إن هذا الفارق يشكل دلالة على عجز هذه المنظومة القيمة على التفاعل الإيجابي والبناء مع الأفراد وانتظام علاقاتهم وإطلاق حريتهم وإبداعاتهم .
أيها السادة ،

أعتقد أن مدوناتنا القديمة أشبعت بحثاً في فهم وعرض قيم عصورها وأزمنتها ، وعلينا أن نقدم مقاربتنا لقيم هذا العصر وهي الحرية والعدالة والمقاومة والعنف والإرهاب والحب والغيرية والتنوع والعمل .

إن الغرب قدّم أطروحته بتنوعاتها حول هذه القيم ، بينما نحن لا زلنا نريد أن نطوِّع زمننا لقيم أزمنة غابرة ، صحيح أن تصدعاً كبيراً لم يصب البنى الاجتماعية والإقتصادية لمجتمعاتنا ، فالقبليّة لا زالت العقلية المهيمنة وإقتصادنا لا زال إقتصاداً ربيعياً ، وبالتالي فلا محفزات ضاغطة لإستيلاد قيم جديدة ، إلا أن تحديات إنجاز التحرر الحقيقي

استعادة الحقوق وتأمين الإستقلالية تفرض هذا التحرك وتفرض أن نبدأ هذه الورشة الفكرية الإنتاجية لأنها المفتاح الحقيقي لتأمين تحرر الإنسان .

الفكرة التي عادت لتهمين على مجتمعاتنا من جديد هي الفكرية الدينية والتحدي الحقيقي هو تقديم المنظومة القيمية الدينية في هذا العصر .

ونحن نجري هذا التمرين ، علينا أن نستحضر أن المنظومات الفكرية فشلت في تأمين إستمرارية هيمنة قيمها لأنها لم تطور، بل لم تبدع آليات خاصة لمقاربة أزمات مجتمعاتنا ، بل لجأت الى إسقاط آليات ناجزة على أزماتنا كمن يسقط صخرة على أرض باطونية والنتيجة الضجيج والمزيد من الضجيج ، بينما المطلوب هو تأمين سيولة تفاعل متبادل بين الآليات والأزمات ، فجمود الآليات سيقابله جمود الأزمات والنتيجة المزيد من التخلف والتقهقر والتوحش غالباً .
أيها السادة ،

بين يدي الموضوع الذي أعالجه أرى ابتداءً أن العمل هو قيمة أساسية وتأسيسية لإستمرارية وحضور أية هوية " وقل **إعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون** " والعمل هو الإنتاج ، والإنتاج هو إما أن يكون فكرة أو كشافاً .

لا إختلاف بشأن الكشف لأن ميدان إشتغاله هو العلوم التطبيقية ومجالاتها. -5-
لكن حين يكون الإنتاج مرتبطاً بالفكرة فلا بد من إستعراض إشكالياتها وبخاصة تلك المتعلقة بالمجال الديني .
أول هذه الإشكاليات وأعقدها أن ليس كل إبداع بدعه ، فالإبداع شرط البقاء والحياة .
والجيل المؤسس والأجيال الغابرة حين وقفت أمام النص القرآني قراءة وإستنباطاً وتأويلاً إنما أنجزت ذلك بعدة معرفية وإستعداد ذهني فيه من الإبداع ما فيه ، وعلينا أن نقوم بالمهمة عينها لسببين :

الأول لأنه الطريقة المثلى لإكتشاف المجازية في هذا النص؛ **والثاني** لأن إلحاق تفسير النص بالنص ذاته بحيث يصبح في لا وعينا أو وعينا الزائف جزءاً منه مع ما يصيب هذا التفسير عن تصلّب وتحجر يفسر غالباً الممارسات والسلوكيات الوحشية لمعتنقيه، من شأنه أن يلحق بالنص القرآني صفة هي من صفات تفسيره وليس من ميزاته ، فمن ميزاته الأزلية والديمومة ومن ميزاته مقاربه النسبية والزمنية .

من هنا فإن مقارنة النص القرآني بعدة معرفية حدائية أمر مشروع ومطلوب، وليس وضع المقاربات السابقة في قوالب الحداثة.

وثاني هذه الإشكاليات ما قد يقوله البعض من أن إنتاجنا الفكري والأدبي غزير وبمنسوب عال ، وأقول أن الإكثار هنا غالباً ما يعكس العقم الفكري أكثر مما يعكس الإنتاجية .

فالإنتاج الفكري الجديد يحتاج لغته الجديدة ويحتاج الى البحث عن مجالاته لذلك فإنه يتسم بصفتي القلة مع التكثيف تماماً كالنحت ، بينما الغزارة والسيولة روافدها المعجمية وإشكالياتها الفكرية جاهزة لذلك تكون أقرب الى الإستنساخ منه الى الإنتاج .

الإبداع نحت بقلق والسيولة إستنساخ ممل ،
الإبداع تمرين العقل على إكتشاف الحياة بحذر ، أما السيولة فيها سير بالحياة دون عمق بحجة الطمأنينة لأن الحياة بالنسبة لها صور ترسخت حتى تحجرت ، والله تعالى يقول : **"سيروا في الأرض فإنظروا .."** أي أن المطلوب هو إدامة النظر والتأمل والتدبر وليس رسوخ الصور والإستنتاجات .

وطرح هذه الإشكاليات لا يعني أبداً قطعاً مع الماضي ، فكل الأفكار التحديثية أفكار مستأنفة ، إنها دعوة ليبقى باب الإجتهد والتجديد مفتوحين .

وإن أردنا أن نتمثل تجربة إسلامية معاصرة عرفت التجديد في مجال الفكر الديني والكشف في المجال العلمي فلا نجد أكثر من تجربة الجمهورية الإسلامية الإيرانية أنموذجاً في هذا المجال . فالتحديث اللافت في مجال الفكر السياسي قيّد لنظامه السياسي أن يجيب ، ضمن الظروف الإقليمية والدولية المحيطة ، على التحديات ويكون الأكثر تعبيراً عن إرادة شعبه بقرينة العجز عن إسقاطه لا بل إسقاطه هو لكل المؤمرات التي حيكت ضده ، دون أن ننسى أنه أطلق وخلق المجالات لطاقت شعبه العلمية أن تسجل حضوراً متميزاً في مجال رفق البحث العلمي على مستوى العالم بإنجازات وبراءات سجلت لهم ، ولقد سبق أن قلت في أحد خطاباتي : " لقد قدمت إيران للعالم السيف والقلم وعليه أن يختار " .
أيها السادة ،

إنني أرى أن "الغيرية" بما هي قيمة إنسانية تعني قبول الآخر وتقبله كما هو ، جديرة أن نقدم بين محتواها إضافة تسقط ما الصق بالفكر الديني من أن فلسفته تقوم على نفي الآخر .
إن هذه التهمة الإشكالية التي إكتسبت وجاقتها من بعض ممارسات الماضي والتي إستعادها بعض الحاضر تتنافى وبشكل جذري مع قيم إسلامية إنسانية نادت بالتنوع والتعددية وإعتبرتها سنة كونية، إن لم نقل أكثر من ذلك .
إن بعض الفكر والذي يستقي من الماضي وإنتاجاته حدّ التماهي يعترف " بالآخر الماضي " في الوقت الذي يصّر على إلغاء الآخر المختلف معه في الحاضر، وفاته أن " الأنا " ترتسم معالمها أكثر بوجود " الآخر " فإن لم يكن هناك " غير وغيره " فكيف أحدد " الذات والذاتية " ؟!

إن " الغيرية " قيمة دينية إنسانية تناولها النص القرآني في أكثر من موضع " ولو شاء ربك لجعل للنفس أمة واحدة " " من شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر " ليس عليك هداهم ولكن الله يهدي من يشاء " وحاصل هذه الآيات وسواها مما يتناول التعدد والتنوع كسنة كونية أنه جعلها مرتبطة بشكل متلازم مع المشيئة الإلهية ، ومع ذلك نجد أن البعض ، وتحديدأ ممن خاضوا حروب أميركا يدعون أن أي إختلاف هو كفر، وأن السيف وحدة كفيل بإلغاء التعدد والتنوع متكئين في ذلك على آراء وأفكار مرتبطة بسياقها التي لا تمت الى واقعنا بصلة .

والتزاماً بالوقت المحدد بقي لي أن أتناول الحب كقيمة إنسانية جعلها الإسلام أساس العلاقة بين البشر والمتقدمة على أي إعتبار أو مكوّن آخر. ذلك أن الإنسانية التي نقصدها هي تلك التي تمنح الإنسان ، وبإستقلال ، كل قدراته لأخيه الإنسان. ومن ذا الذي قدّم هذه القيمة للإنسانية بتكثيف كقول رسول الله (ص) " لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه " ؟!

إن إحياء " قيمة الحب " في الخطاب الإسلامي هو لقيمة بشر بها الإسلام وهي أصل من أصوله ، وهي جذر سنة " التواصي بالحق " ، وما أحوجنا لإعادة إنتاجها في خطابنا الإسلامي كأصل ثابت للعلاقة بين الناس بغض النظر عن إنتماءاتهم الدينية والفكرية والجهوية .

إن الوحشية التي قدمها البعض ، على إستعراضيتها وحضور الميديا المكثف الذي صاحبها ، هو جزء من مشروع غربي أميركي يؤكد على صراع الحضارات ويقول أن الغرب السمع الديمقراطي التعددي يخوض معركته ضد التطرف والإرهاب والأصولية ، ومواجهته تكون على مستويين :
الأول بإحياء "قيمة الحب والمحبة" في خطابنا كمرتكز أساسي وجذري في العلاقة بين الناس.

الثاني وبالتشديد أن الغرب وأميركا يقاتلون أتباعهم، وهم حين يقاتلونهم ويقتلونهم يكونون أكثر وحشية أيضاً منهم تماماً كالفارق بين الأصل والفرع.
أيها السادة ،

إن المقاربات التجديدية دائماً ما ينظر إليها قبل نضوج التطور كمبادرة فردية لكنها تستبطن رغبة بالتغيير، إلى أن تتطور درجة الوعي بالتطور ستتحول الى كتلة مجتمعية ، وإني أرى أننا سائرون بها على طول هذه الحروب البشعة ومشاهدها المتوحشة التي مرّت بنا .
أشكركم لحسن إصغائكم وأشكر القيميين على هذه الندوة على إتاحتهم لي فرصة التحدث .



المقاومة الإسلامية في لبنان التعبئة التربوية